

يبرع في الرسم والنجارة... يعشق اللغة العربية وينظم الزجل الدكتور موسى المعلم رائد أبجدية التخدير في لبنان: أنا مدرّس وتقني أكثر من طبيب وباحث

المقابل. يكنّ عشقاً وتفوّقاً في اللغة العربية. التي تتلمذ فيها على يد كبار الأساتذة. بينهم كبير لبنان والشرق مارون عبود. بعد تخرجه من الإستعدادية. دخل الجامعة الأميركية في بيروت وتابع دروسه فيها الى ان تخرج منها طبيباً سنة ١٩٥٧. ورغم عشقه للغة العربية. اختار دراسة الطبّ بناء على نصيحة والده التي كان تلقاها سابقاً من صديقه الياس الخوري وزير الصحة في عهد الرئيس بشارة الخوري «لأنه اختصاص مشرّف ويطعم خبزاً» كما كانت تقول النصيحة وكما شرح الدكتور المعلم.

تخدير طبيب التخدير

بعد التخرج عمل في مستشفى الجامعة الأميركية كطبيب مقيم لأربع سنوات. يتخصّص في علم التخدير والإنعاش ثم التحق بالكلية الملكية البريطانية للجراحين لسنة دراسية ١٩٦١-١٩٦٢ حيث نال منها شهادة في علم التخدير (DA). اختار الدكتور المعلم التخصّص في طبّ التخدير «لأنه لا يتطلّب وقتاً طويلاً. وقد كنت مستعجلاً لبدء العمل وتحقيق مكسب مالي. ولكنني لم أنته من الدراسة حتى الآن...! أراد أن يدخل ميدان العمل والإنتاج بسرعة. وهكذا كان. دخل ميدان الإنتاج ولكنه لم يخرج حتى الآن. وحتى بعد التقاعد. خبر التعب وتبرّس به. غاص في عمله حتى النهاية. كأنّ غرفة العمليات أصبحت جزءاً منه وهو جزء منها. بدليل أنّه قال يوماً للأطباء زملائه خلال عملية جراحية كان يشرف عليها من خلال اختصاصه: «عجلوا. خلصوا العملية. وبس تقيموا المريض نيموني محلّو. لازملي عملية زائدة!» وهكذا كان نؤم الأطباء طبيب التخدير. وأخضعوه لجراحة استئصال الزائدة الدودية قبل وقت قصير من انفجارها...

وغرفة العمليات حيث قضى أكثر من نصف عمره. شهدت إلى جانب إنجازات الدكتور المعلم. ولادة قصائد زجلية حمل توقيع. وقد نظمها في مناسبات عدة تغلب عليها الفكاهة. ومن هذه القصائد. واحدة نظمها لشكيب سائق سيارة الإسعاف «المستعجل دائماً». خلال حادثة شهد عليها الدكتور المعلم وقال فيها:

اما اخينا شكيب شوفير من اول عمره
بضم هاجم مثل الديب لا زمر ولا عمره
من حاله راح منشيب والسيارة راح عمره
هلق بتشوف العجيب لما بيوصل على الكوع
بيلفو بفرد مرّه

من مدرسة «خوري الضيعة» حّت شجرة الزيتون في بلبل وغيرها من مدارس القرى المجاورة كحومال وبسبا وواي شحرور. إلى الجامعة الأميركية في بيروت والكلية الملكية في بريطانيا. ومن التفوق في اللغة العربية إلى التفوق في الطبّ وحديداً طبّ التخدير. أيام كان هذا التخصّص بالذات في بداياته الأولى. دخل هذا الميدان وكان أحد أهمّ رواده الذين لا يتجاوز عددهم أيامها أصابع اليدين. حيث سجّل بصمات

مضيئة واختراعات حققت لهذا النوع من الطبّ قفزة نوعية نقلته إلى التطور الذي وصل إليه اليوم. إنه الدكتور موسى خليل المعلم. رائد «أبجدية» التخدير وأحد أبرز كتّاب «ألفبائه» الأولى...



الدكتور المعلم في شبابه



في العام ٢٠٠٧

ولد الدكتور موسى خليل المعلم في ٢٠ نيسان سنة ١٩٢٩ في قرية بلبل قضاء عاليه. دراسة الابتدائية كانت اولاً في مدرسة القرية «حّت شجرة الزيتون» على يد الخوري بطرس ابو خليل. ثم غيرها من مدارس القرى المجاورة في حومال وبسبا وواي شحرور قبل أن ينتقل الى المدرسة الوطنية في مدينة عاليه (١٩٤٣-١٩٤٠). ومنها الى المدرسة الإستعدادية في الإنترناسيونال كودلج في رأس بيروت. حيث تخرج سنة ١٩٤٩. وفي كلّ مراحل دراسته كان «ولداً كبيراً على صفّه» كما يقول ولكنه كان في

لما بيوصل على الكوع
بيقلو وحياء يسوع
بهالتكي كر رجوع
احسن ما تصفي مشلوع
والباقي منك بره

الله ستر ومشينا
وصوب النهر توجهننا
وهونيك لما وصلنا
بهونيك وحله غرقنا
حتى السيارة جّره

تركنا الشوفير بحالو
والليل مرّخي دبالو
هونيك بيته قالو
حد الكنيس قباليو
ولاده ما في غيره

لما عابيتها وصلنا
ولما الولاده فحصنا
وقته خليفه شفنا
طمنا الأهل ورحنا
نكنا بعده بمقره

لمن طلعة من الوحله
قلنا خلصت هالرحله
لكن امشي عالمهله
هالمره طلعت سهله
تمضى بدون تهويره



الدكتور المعلم (الأول إلى اليمين) مع فريق قسم التخدير عام ٢٠٠٤



خلال العمل في مختبر الكلاب

وللطبيب الجراح وليد منيمه قال يوم «علق» هذا الأخير بجراحة طويلة ل«فتاق الصرّة»:

كمال اليوم علق بالفتاق
عالمه في دقة ورواق
طبقات الغشى قديشهم رقلق
وكل قطبه يشكها بخراق
ومساعدته ضاق صدره ضاق
والنرسات جديدهم وعتاق
قالهم شغللات هيكي دقاق
ويلي بخيط مثل هيكي فتاق

بعد عودته من بريطانيا عين مدرّساً في كلية الطب في الجامعة الأميركية في بيروت سنة ١٩٦٢. وطبياً أخصائياً في التخدير والإنعاش في المستشفى التابع لها. وتدرّج في رتب الجامعة من مدرّس. الى مساعد استاذ. ثم استاذ مشارك. ثم استاذ. وبقي في الجامعة يعلم ويمارس طب التخدير والإنعاش الى حين تقاعده من العمل سنة ٢٠٠٧. وقد اعطي لاحقاً لقب أستاذ شرف. ولذلك يرى نفسه مدرّساً أكثر من طبيب لأنه يعشق «نقل المعلومات والمعرفة وتحقيق التطور من خلال الأبحاث والإختراعات العمليّة».

وفي هذا الإطار. شغل مناصب إداريّة عدّة في الجامعة: رئيس قسم التخدير بالوكالة ١٩٦٩-١٩٧١ ثم نائب رئيس القسم والمدير الطبي لفرع علاج امراض التنفس Inhalation Therapy. والتنفس الأصبغاعي. التابع لدائرة التخدير. وقد بقي يمارس مسؤولياته هذه الى سنة تقاعده عن العمل (٢٠٠٧).

تخلل عمله في الجامعة بعثات دراسية منها: سنة في البحث العلمي (Research Follow) في جامعة كليفورنيا في سان فرانسيسكو سنة ١٩٦٥-١٩٦٧. ثم بعثة دراسية في طب التخدير في مستشفى القديس توماس في لندن- بريطانيا سنة ١٩٧٢-١٩٧٣.



كلمات اللوغو بتوقيع الدكتور المعلم

المعلم «المعلم»

كان الدكتور موسى المعلم من أوائل الأطباء الذين تخصصوا في علم التخدير وقد كان عددهم في أوائل الستينات لا يتجاوز العشرة أطباء في كل لبنان. وقد أصبح عدد اطباء التخدير سنة ٢٠٠٧ حوالي اربعمئة طبيب غالبيتهم من تلامذته.

وقد أسس الدكتور معلّم مع زملاء له من جامعة القديس يوسف: الدكتور روبير حداد والدكتورة ماري كلار انطكلي والدكتور وجيه صباغ. ومن المستشفى اللبناني الجعيتاوي: الدكتور ريمون اسمر والدكتور نديم روفائل. ومع الزملاء الدكتور اديب ابو حيدر والدكتور خنجر كنعان سنة ١٩٦٥ «الجمعية اللبنانية للتخدير والإنعاش». وقد انتخب لاحقاً رئيساً لهذه الجمعية من سنة ١٩٧٤ الى ١٩٩٥.

وقد أدخل على برامج الجمعية سنة ١٩٩٢ الاجتماعات العلمية السنوية للتثقيف الطبي المتواصل (CME) المعمول به في معظم البلدان الغربية. ولا يزال هذا التقليد يعمل به سنوياً في لبنان الى الآن. من النشاطات العلمية الأخرى: فقد انشأ الدكتور معلّم مع الدكتور برنستتر والدكتور بركه سنة ١٩٦٥ مجلة التخدير للشرق الأوسط (Middle East Journal of Anesthesiology) وقد اشرف مع زملائه على تحريرها وإصدارها ولا يزال.

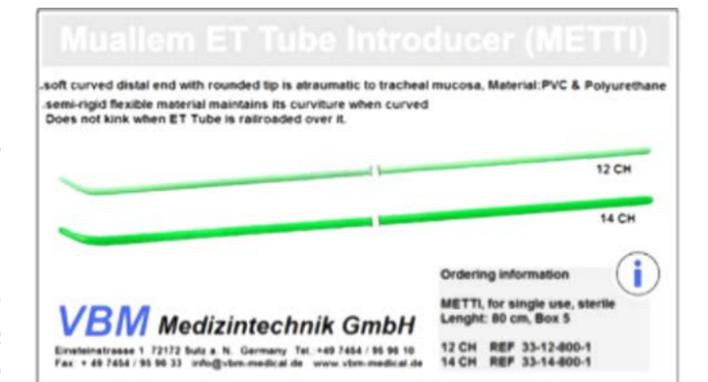


Figure 26-3 The Muallem jet ventilator (Dr. Musa K. Muallem, American University of Beirut, Beirut, Lebanon) uses a 50 psi oxygen source. Automated jet ventilator device devised for bronchoscopy. Inspiratory and expiratory times, respiratory rate (0 to 300/min), inspiratory pressure, and positive end-expiratory pressure can all be controlled.

كان الدكتور معلم عضواً في جمعيات علمية عالمية عدة منها: الجمعية الأوروبية للتخدير، و«الجمعية الأوروبية لعلاج التنبيب الصعب»، و«جمعية العناية الفائقة البريطانية»، والجمعية العلمية المعروفة بـ«ألفا أميغا ألفا». بالإضافة إلى حضوره لعدد كبير من المؤتمرات العلمية الأميركية والأوروبية والشرق أوسطية ومحاضراته في بعض منها.

«معلم» النجارة!

ومثلما يرى الدكتور المعلم نفسه مدرساً أو «معلماً» أكثر من طبيب. يرى نفسه أيضاً «تقنياً» أكثر من باحث. ويعزو اختراعاته العلمية التي قفزت بطب التخدير إلى المراتب المتطورة. إلى «الحس التقني لديه». «أحبّ عمل النجارة، وأمارسه اليوم من خلال أعمال بناء لشاليه لي في شملان. بالإضافة إلى ممارستي لأعمال البستنة في بلدي وممارسة فنّ الرسم الذي أحبه...»

ومن إنجازاته الطبية العملية التي يردها إلى «الحس التقني»:

١. جهاز للتنفس الأسطناعي الأوتوماتيكي في حالات التنظير للقصبه الهوائية. (Muallem Jet Ventilator) -
٢. اجهزة مساعدة لتنبيب القصبه الهوائية (Muallem Endotracheal Tube Introducer) (Muallem ETTube Stylet & Muallem Pipe Stylet)
٣. جهاز لقياس ومراقبة ضغط انبوب القصبه الهوائية (Muallem Cuff Inflator/monitor)
٤. طريقة جديدة لاستعمال المنظار الألكتروني للحنجرة (GlideScope & Support) وغيرها من الأدوات.



Hand operated bellows and breathing tube and expiratory valve as assembled in 1960 by Dr. Muallem for patient transport

وإذا كان الحس التقني قاد الدكتور المعلم إلى أهم الإختراعات العمليّة. فإنّ الحسّ التعليمي قاده أيضاً وما زال يقوده حتى اليوم إلى كتابة

العديد من المنشورات العلمية. وبينها ٧٢ مقالاً وبحثاً علمياً. مخبرياً وسريراً. منشورة في المجلات العلمية العالمية. وقد أنجز أخيراً كتاباً حول طبّ التخدير في الجامعة الأميركية من العام ١٨٥٠ إلى العام ٢٠٠٧. وهو كتاب ينتظر موافقة المعنيين لطبعه. ويشكّل بالكلمة والصورة مرجعاً تاريخياً لتطوّر طبّ التخدير في الجامعة من مراحلها البدائية إلى الأكثر تطوّراً.

حاز الدكتور المعلم على عدة جوائز تقدير من لبنان والعالم. منها عدة جوائز تقدير من الجامعة الأميركية في بيروت، والجمعية اللبنانية لأطباء التخدير ونقابة الأطباء في لبنان والكلية الملكية في بريطانيا. بالإضافة إلى ميداليات وأوسمة تقدير من سوريا والأردن وغيرها...

وبعد هذه المسيرة الحافلة بالإنجازات. لا يزال الدكتور المعلم يمارس الكتابة. بالإضافة إلى ممارسة هواياته «التقنية» في أعمال النجارة والبستنة. إلى جانب زوجته طبيبة الجلد وابنته طبيبة الجلد أيضاً وولديه المهندس وطبيب الأشعة. مع عائلته يقضي أمتع الأوقات وبين أحضان طبيعة بلده يستعيد أجمل لحظات الهدوء والسكينة...

لارا سعد مراد



بريشة المعلم

